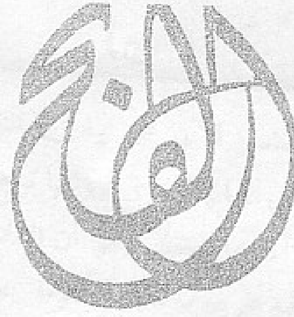
محب الدين الخطيب
بشارع الاستئناف بالقاهرة
رئيس التحرير
عبد الباقي سرور نعيم
من علماء الأزهر



في المملكة المصرية
في الخارج
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

صحيفة إسلامية علمية أخلاقية
تصدر يوم الخميس من كل أسبوع

العدد — ٤ القاهرة : الخميس ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٤٤ — ٨ يونيو سنة ١٩٢٦ السنة الأولى

ثقافتنا
وما يرجى فيها من نواب الأمة المصرية

فتح خطاب العرش لهذا الوطن الشرقي الناهض باباً من أبواب التكوين القومي، فإذا أحسنت الأمة دخوله والوصول منه إلى المكانة اللائقة بطلاب الحياة، والملائمة للطور الحاضر الذي انتقلنا إليه، كان ذلك فاتحة عهد جديد في تاريخ مصر لا يلبث الشرق العربي كله أن يسير وراءها فيه فيسجل التاريخ هذه اليد لمصر في الصفحة الأولى من كتاب الحسنات. أما إذا أخطأنا الطريق –لا قدر ا - كما أخطأه الكماليون وفتحوا بخطأهم باب فتنة في التركيا لم ولم يعد في يدهم أن يغلقوه- فسيكون من نتيجة ذلك ضياع وقت الأمة بالتخبط، وذهاب وقتها عبثاً بالمشادة بين جهود كلها سلبية، وتلك عثرة من عثرات الأمم قلما يغتفرها النسل الآتي للنسل الماضي، لأنها مجلبة للشر وسبب للفشل.

قرر خطاب العرش أن مصر في حاجة إلى وجوه عديدة من الإصلاح، لتضطلع بالمسئوليات العظيمة التي ألقى الاستقلال عبئها على عاتقها. وإن أول ما تعنى به حكومة صاحب الجلالة المصرية في هذا السبيل نظام التعليم بدرجاته المختلفة: فإن صلاحية كل فرد في الأمة للقيام بما هيئ له أو خصص به من الأعمال تتوقف على صلاحية نظام التعليم.

ومصر في حاجة محتمة ومستعجلة إلى إصلاح نظم التعليم، وإلى أن يكون هذا الإصلاح من الأساس، لأن الأمة برجالها. ورجال الأمة تصنعهم المدرسة، وتكونهم الثقافة.

لقد جربنا حتى الآن أساليب التعليم المألوفة في مدارسنا، وصبرنا على هذه التجربة النصاب الكافي من الوقت، أو ما يزيد على حد الكفاية، فكانت النتيجة ما أشار إليه خطاب العرش من أن نظام التعليم بشكله الذي رأيناه لم يكن صالحاً لإعداد كل فرد في الأمة للقيام بما هيئ له أو خصص به من الأعمال.

لست أدري إلى أي حد يشعر كل ذي تأثير في تكوين نظام التعليم بمسئوليته أمام ا وتجاه المستقبل، ولكن مهما كان مقدر الشعور بهذه المسئولية فلا شك أنه موجود، وأن من آثار وجوده النداء به في أسمى مقام في الكيان المصري بما جاء عنه في خطاب العرش.

الغرض من التعليم مختلف جداً إلى حد التناقض بين الأسلوب الذي كان متبعاً إلى الآن والأسلوب الذي تحتاج البلاد إلى اتباعه. فأما الأسلوب الذي كان متبعاً إلى الآن فقد وضع أساسه بيد مستر دانلوب الذي كان مستشار وزارة المعارف، وكان الغرض منه تخريج موظفين يكونون عوناً للمشورة الأجنبية على إدارة ماكينة الحكومة بالشكل الذي كانت عليه قبل الحرب

العظمى. فالذي كان يراد إذن من التعليم في مصر هو تخريج موظفين مصبوغين بلون مخصوص اختاره لهم مستر دانلوب الذي لا ريب أنه كان كل شيء في المعارف المصرية. وجميع ما يراه بعيدو النظر من رجال هذه الأمة موضع ضعف في الجمهور المتعلم من أبناء مصر فهو سيئة من سيئات التعليم على ما كان عليه فيما مضى. ولا ننكر أن مناهج مستر دانلوب قد دخل عليها تعديل كثير ولا سيما في السنوات الأخيرة، ولكن واضعي هذه التعديلات هم أنفسهم يعترفون بأنها تتناول الفروع ولم تتعرض للأصول.

أما أسلوب التعليم الذي تحتاج مصر إليه الآن فإن خطاب العرش أشار إليه بوضوح تام يفهم منه أن سياسة التعليم يجب أن تُبنى على إلغاء الغرض القديم «وهو تخريج موظفين بصيغة مخصوصة» واتخاذ غرض آخر ترمي إليه في البرامج الجديدة «وهو جعل كل فرد في الأمة صالحاً للقيام بما هيئ له أو خصص به من الأعمال».

ولا يحسبن القارئ أننا نريد أن نتحامل على البرامج القديمة للمدارس المصرية، فإننا نعترف –انصافاً للحقيقة- بأن التعليم في مصر ما برح من الوجهة الفنية خيراً بكثير من التعليم في جميع بلاد الشرق الأدنى، حتى تركيا التي كانت دولة مستقلة لا تسيطر يد أجنبية على معارفها مباشرة. ولو كان المجال متسعاً لعرضنا على أنظار القراء مقارنة بين التعليم في مصر والتعليم في تركيا قبل الحرب العظمى وما يفضل به كل واحد منهما على الآخر، ولكننا نقتصر الآن على بيان النقائص الأساسية في التعليم المصري، وكلها ترجع إلى شيئين: أحدهما شخصي وهو أن التعليم كان يلاحظ فيه تخريج موظفين للحكومة يصلحون أن يكونوا أدوات مسيرة في تلك الماكِنة ولا يستطيع الواحد منهم –إذا لم يجد وظيفة في الحكومة- أن يقوم بعمل استقلالي يزاحم به الجاليات الأجنبية التي استولت على مرافق الحياة في وادي النيل.

والنقص الثاني في البرنامج القديم هو النقص من الوجهة القومية ومن النواحي الاجتماعية التي يتصل فيها المصري بالأمم الشرقية والإسلامية المشاركة له في بعض الجامعات المتعددة. وطبيعي جداً أن يلاحظ المستر دانلوب وكل من يكون في مركز مستر دانلوب أن يكون المتعلمون في المدارس المصرية في عزلة أبدية عن الأمم التي بينها وبين مصر روابط كالتي أشرنا إليها، بل أن يكون هؤلاء المتعلمون في عزلة عن ماضي البلاد المصرية نفسها، الماضي القريب والماضي البعيد. فكان الطالب المصري إذا قرأ في المدرسة شيئاً عن الأمم الإسلامية والشرقية –حتى المجاورة له- كانت قراءته بعقلية الأوربيين ومن وجهة نظر الأوربيين ولأغراض الأوربيين، وهذا هو السر في أن الجمهور المصري المتعلم نشأ هذه النشأة التي تجعل معرفته للعالم الإسلامي معرفة خارجية من طريق كتب أوربا وصحفها، لا معرفة داخلية يحصل عليها رأساً من البلاد الإسلامية نفسها وبمراقبة أحوالها والاتصال بأفاضلها والاطلاع على ما يصدر فيها من كتب ومجلات وصحف. ولو كان الأساس الذي قام عليه التعليم المصري يقضي بمعرفة الممالك الإسلامية والأقطار الشرقية من داخلها لا من خارجها، ومن وجهة النظر المصرية والشرقية والإسلامية لا من وجهة النظر الأوربية، لكان للمتعلمين المصريين لذة أخرى في تتبع أخبار إخوانهم أبناء الممالك الشرقية والوقوف على أحوالهم، ومعرفة بلدانهم ومذاهبهم وأحوالهم الاجتماعية ومواطن القوة والضعف فيهم.

بل لو كان الأساس الذي قام عليه التعليم المصري يرمي إلى جعل حاضر مصر متصلاً بماضيها لكان لنا الآن من أبنائنا ناشئة وفية للآباء والأجداد، عارفة بمفاخرهم، أمينة على علومهم وآثارهم، عاملة –كالمستشرقين على الأقل- على نشر مؤلفاتهم وخدمتها، لا كما نرى الآن من عدائها لأسلافها وإساءتها إليه بجهل مخجل. وإن أمة لا تعنى بجعل ماضيها متصلاً بحاضرها، يكون ذلك ضعفاً في كيانها يمنعها من اتصال حاضرها بمستقبلها.

أليس من المعيب أن تكون الكتب والخرائط الجغرافية المطبوعة في مصر مترجمة عن كتب الإفرنج، وأسماء الأعلام التي فيها منقولة عن حروف الإفرنج، وبلفظ الإفرنج، لا كما يسميها أهلها ولا على لفظها المقرر في المعارف الإسلامية والعربية.

نزعم أننا طلاب استقلال، ونحن نحاول أن نذوب في هؤلاء الإفرنج بشكل معيب بعيد عن الكرامة! ونزعم أننا طلاب استقلال، ولا نسعى للاستقلال العلمي! ونزعم أننا طلاب استقلال وفينا من يحاول

الاندماج في الإفرنج ووضع برنيطتهم على رأسه...

يالها من دعوى استقلال كاذبة، ويالهم من أشخاص استهواهم الإفرنج ونوموهم تنويماً مغناطيسياً! حتى صار التفرنج ألزم لهم من ظلهم في يقظتهم، ومن أحلامهم في نومهم...

وبعد، فإن أفراد الأمة لا يكونون صالحين للقيام بما هيئ لهم من الأعمال، والأمة بمجموعها لا تستطيع أن تضطلع بالمسئوليات العظيمة التي ألقى الاستقلال عبئها على عاتقها، إلا إذا كانت سياسة التعليم قائمة على أساسين:

١- إعداد الطالب للحياة الاستقلالية، وأن يكون صالحاً للعمل في معترك الحياة إلى جانب هذه الجاليات الأجنبية التي وضعت أيديها على جميع المرافق –تقريباً- في هذا الوادي الخصيب.

٢- أن تكون للمملكة المصرية سياسة تعليم قومية ثابتة كما لكل أمة حية في بلادها، ويكون من نتائجها أن ينشأ الناشئ فينا براً بماضيه، باحثاً عن مآثر أسلافه، عارفاً بالأقربين إليه من الأمم المجاورة له أو التي تجمعه بها جامعات وثيقة، كجامعة اللغة وجامعة الدين وجامعة الأوطان الشرقية، وأن تكون معرفته بتلك الأمم وبلادها من الداخل ومباشرة لا عن طريق الإفرنج ولا من الكتب التي ألفت خصيصاً لأغراض استعمارية.

هذا مما نرجوا نواب الأمة ومديري سياسة المعارف أن يلاحظوه في تنفيذ ما أشارت إليه خطة العرش من إصلاح المعارف. وإنا لما يتم على أيديهم لمنتظرون.

محب الدين الخطيب

نقد علمي

لكتاب الإسلام وأصول الحكم

الأستاذ العلامة الجليل السيد محمد الطاهر ابن عاشور من كبار علماء المسلمين في هذا العصر، وهو مفتي الديار التونسية الآن، وقد جمع إلى معارفه الشرعية الواسعة أدباً بارعاً، وتضلعاً في التاريخ الإسلامي.

ولما اطلع في صيف السنة الماضية على كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ علي عبد الرزاق سره في بادئ الأمر تصدي الرجل لإفراد هذا الموضوع بالتأليف، ثم تحول هذا السرور إلى غضبة مضرية ورسوله عندما اطلع على ما احتواه ذلك الكتاب من الكيد للإسلام، والدس فيه، ومحاولة قلب حقائقه الناصعة الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين في الصدر الأول. فبادر العلامة مفتي الديار التونسية إلى كتابة رد على ذلك الكتاب الفظيع نشرته مجلة (النهضة) التي تصدر في تونس بمقالات متتابعة. ثم تفضل فأرسل هذه المقالات إلى المطبعة السلفية بالقاهرة فنشرتها في كتاب مستقبل جاء في نحو أربعين صفحة من القطع الكبير. وهو على اختصاره جامع لحقائق يجدر بكل مسلم الاطلاع عليها . ويطلب الكتاب من المطبعة السلفية ومكتبتها بشارع الاستئناف وثمنه قرش ونصف.

وهذا الكتاب هو ثالث الكتب التي نشرتها المطبعة السلفية في موضوعه، أما الكتابات الآخران فهما كتاب (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) لحضرة العلامة الكبير صاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت، وهو في ٤٥٠ صفحة كبيرة، وثمنه ١٥ قرشاً، وكتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) للأستاذ العالم الجليل السيد محمد الخضر التونسي وهو في ٢٥٠ صفحة بالقطع الكبير أيضاً وثمنه ١٠ قروش. وكل هذه الكتب تباع في المطبعة السلفية ومكتبتها، فنلفت إليها الأنظار.

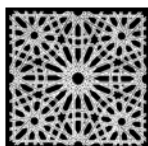
الاتحاد

لما جاء وفد بني الحارث بن كعب من نجران اليمن إلى النبي صلى ا عليه وسلم في السنة التاسعة من الهجرة منقادين لهدايته أكرمهم النبي صلى ا عليه وسلم وقال لهم:

- بما كنتم تغلبون من يقاتلكم في الجاهلية؟

قالوا: - كنا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأ أحداً بظلم.

فقال: صدقتم.



تغيير مناهج التعليم بالأزهر

لما عدلت وزارة المعارف مناهج الدراسة في جميع مدارسها رأى حضرة محمد خالد حسنين بك مفتش العلوم الحديثة بالمعاهد الدينية تغيير المناهج في الأزهر الشريف، وفعلاً وضع اقتراحاً بذلك بسط فيه الأسباب التي تدعو إلى هذا التغيير ورفعه إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر رئيس مجلس الأزهر الأعلى ليرى رأيه فيه. ولا يزال هذا الاقتراح موضع البحث.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - -

من أمثال العرب

- للباطل جولةٌ ثم يضمحلّ
- من ترك الشهواتِ عاشَ حراً
- دل على عاقلٍ اختياره
- رضى الناسِ غاية لا تُدرك

- - - - - - - - - - - - - - - - - - -

الاعتبار بالآثار التاريخية

وجهة نظر القرآن

وجهة نظر المدنية الحديثة

«أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور».

ذكر القرآن هذه الآية بعد أن ذكر «وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكُذب موسى فأمليتُ للكافرين ثم أخذتُهم فكيف كان نكير. فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد»[1]. وغرضه توجيه نظر الإنسان إلى السياحة في الأرض سياحة تستتبع تتبع آثار الأمم البائدة والنظر فيما تركت والاعتبار بمصائرها وإطالة التفكير في تعرف الأسباب التي نشأ عنها فناؤها وإدراك العلل التي كان على يدها هلاكها وتنبيهه إلى أن الظلم والفساد في الأرض وتكذيب الرسل ومجانبة الحق ومعاندة الدليل ومجافاة الفطرة وتنكب السنن الإلهية كل أولئك يؤدي إلى إبادة الأمم ومحوها وإنزال العذاب بها، «ذلك بما قدمت أيديكم وأن ا ليس بظلام للعبيد». لذلك تكون السياحة في الأرض وعلى هذه الصفة حيث عليها القرآن الكريم، سياحة يشتغل عقل صاحبها في الأمم ومآلِها والشعوب وكيف كان مصيرها، سياحة يكون فيها القلب متعقلاً والإدراك متنبهاً والبصيرة يقظة، لا للتأمل في الأشياء وقيمتها المادية أو مكانتها التاريخية وما بها من حسن وما لها من رونق، بل للتأمل في الأمم كيف كانت تعيش وكيف كانت تحيا وما الذي كانت تعتقده في ا وفي الرسل وفي الدار الآخرة، وكيف كانت تقيم شرائعها وأحكامها، هل كانت تراعي العدل وتقف عند حدود النصفة، أم كانت ظالمة معتدية، هل كانت صالحة لعمارة الأرض وإصلاحها، أم من المفسدين فيها. هل كانت تراعي سنن الإله في كونه وهل كانت تعرف للعقل قيمته أم مقلدة تابعة لأسلافها جامدة على ما ورثت من آبائها. ذلك ما يدعو القرآن السائرين في الأرض إلى تأمله وإطالة التفكير فيه، وهي مسائل جديرة بإطالة التفكير وإنعام النظر. والسير في الأرض متى صحبه العقل المفكر والقلب اليقظ هدي لا محالة إلى أن سعادة الأمم الحقيقية لم تتحقق إلا في الأزمان التي طبقت فيها شرائع الرسل وأن الأمم التي كذبت رسلها ووقفت في كل طريق تصد الناس عن سبيل ا كان نصيبها الهلاك والدمار... تلك هي وجهة نظر القرآن في حثه على السير في الأرض والسياحة فيها لمشاهدة الآثار والاعتبار بها والاتعاظ بمصير خلفها من الأمم والشعوب.

أما المدنية الحديثة فتحفظ الآثار في المتاحف وتضعها في دور الآثار للتفرج والنزهة أو لكتابة التاريخ الدقيق أو للإيماء إلى عظمة من عثروا عليها ومقدرة المستكشفين لها ومن يعنى منهم بتاريخ الأمم البائدة واشتقاقها وإرجاعها إلى أصل من أصول اللغات المعروفة، وفي شرائع الأمم إن عثر على الشرائع التي كانت مقامة فيها – من حيث منزلتها من الحضارة ومبلغها من الرقي.

أما النظر في استقامتها على الحق وموقفها مما جاءت به رسل ا ومبلغها من احترام الكتب المنزلة فأمور لم تقدرها المدنية الحديثة حق قدرها ولم تعرها إلى الآن اهتماماً خاصاً لأنها مدنية مادية لا مدنية فاضلة تعتبر الهداية إلى الدين والوقوف عند حدوده العنصر الأساسي لسعادة الأمم وحفظ كيانها بجانب سنن ا العادلة «قد خلتْ من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين». عبد الباقي سرور نعيم

[1] الآيات في سورة الحج ، الآيات: ٤٢-٤٥.

كيف ابتدأت الدعوة إلى الإسلام

-٢-

مقاومة الدعوة وتنظيمها

كانت الدعوة للإسلام دعوة علمية قائمة على مخاطبة العقل ومحاكمة العقائد إليه وموجهة إلى الفطرة ومبنية على مقاضاة الآداب والأخلاق إليها وحينما أدركت قريش أنها إذا تركت الدعوة تسير نحو مخاطبة العقل – بدون مقاومة فإنها لا محالة تقضي على ما لها من دين وما ببلادها من عادات وتقاليد، وأنها سوف تنتهي في أقرب وقت بتثبيت دعائم الدين الجديد ونشره في طول وعرضها. أدركت ذلك فعمدت إلى مقاومة تشابه في كثير من الوجوه ما تعمد إليه الحكومات المنظمة اليوم في مقاومة كل دعوة يخشى منها على كيانها السياسي. فقد ذكر ابن هشام في سيرته أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم (موسم الحج) فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً. فقالوا:فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقل به. قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول كاهن! قال: وا ما هو بكاهن. لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول مجنون! قال: فما هو بمجنون. لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر! قال: فما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر . قالوا: فنقول ساحر! قال: ما هو بساحر. لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ فقال: إن لقوله لحلاوة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول فيه أن تقولوا هو ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره. وقد أنزل ا في الوليد بن المغيرة وفي قصته هذه قوله: «ذرني ومن خلقتُ وحيداً. وجعلتُ له مالاً ممدوداً. وبنين شهوداً. ومهدتُ له تمهيداً. ثم يطمع أن أزيد. كلا إنه كان لآياتنا عنيداً. سأرهقه صعوداً. إنه فكر وقدر. فقُتِل كيف قدر. ثم قُتِلَ كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فقال إن هذا إلا سحر يؤثر. إن هذا إلا قولُ البشر».

قال ابن إسحاق: فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول ا صلى ا عليه وسلم لمن لقوا من الناس. وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول ا صلى ا عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها. اهـ

أرادت قريش أن تضع في آذان العرب أمر النبي على خلاف ما هو عليه وان تصور دعوته في نفوسها بما يصرف قلوبها عنه، فنظمت دعايتها وحصرت رأيها وأطالت تفكيرها فيما ينبغي أن تصور به الدعوة الإسلامية أمام العرب في موسم الحج، فأسفر تفكيرها بعد البحث والتشاور على أن تحضر نفراً يصلحون للنشر والإذاعة وعندهم الداعية الكافية للقيام بتلك المهمة، فجلسوا في الطرقات يذيعون عن النبي أنه ساحر جاء بقول يقطع به بين ذوي الأرحام والأقارب والأسر من الروابط العلاقات، قول مفسد لنظام الحياة ومبيد للعلاقات البشرية وماحٍ لنظم العمران، وهذا نهاية التشنيع. وآخر ما وصلت إليه الأنظمة الحديثة اليوم هو تقبيح دعوة خصومها بتلوين دعوتهم بغير لونها الطبيعي وتصويرها على غير صورتها الحقيقية ثم إذاعة ذلك ونشره بأعم وسائل النشر وأسرع طرق الإذاعة. وقد عملت قريش مثل هذا العمل فلونت الدعوة الإسلامية أمام العرب بغير لونها وأعطتها غير صورتها، وأذاعت ذلك في موسم الحج إذاعة منظمة جعلت نشر الفكرة عاماً بين القبائل ومذاعاً لدى العرب كافة، وكانت العرب تدين لقريش بالزعامة الدينية فكان لتصويرها الدعوة الإسلامية أمام العرب على غير صورتها الحقيقية تأثير آخر فوق تأثير الدعاية، هو أن هذا التصوير صادر من الزعامة الدينية في بلاد العرب ومن أهل الحل والعقد في ذلك الشأن.

وذكر ابن هشام أيضاً أن أبا جهل (رأس المقاومة في رجال من قريش) إذا سمع بالرجل قد أسلم وله شرف ومنعة أنبه وخزاه وقال: تركتَ دين أبيك وهو خير منك! لنسفهن حلمك ولنقيلن رأيك ولنضعن شرفك. وإن كان تاجراً قال: وا لنكسدن

تجارتك؛ وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به. اهـ

كان أبو جهل والرجال الذين معه مخصصين للقيام بوظيفة الدعاية حالاً ومباشرة، فكانوا يقابلون من يسلم وينذرونه إن كان ذا منعة وقوة بأنهم سوف يعملون على الحط من شانه وعلى النيل من كرامته وعلى وضع شرفه، وعلى مقاطعة تجارته إن كان تاجراً، وعلى تعذيبه وأذيته إن كان ضعيفاً.

إن هذه المقاومة العملية المنظمة الدقيقة كفيلة بأن تنيل صاحبها أكبر قسط من النجاح لو أن الدعوة التي تريد مقاومتها كانت من عمل البشر ومن صنع بني آدم، بيد أن الدعوة تعتمد على القرآن وهو هداية من ا ونور أنزله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. دعوة جاءت إلى الناس تريد لهم الحياة في عقائدهم والحياة في أخلاقهم والحياة في معايشهم، تريد لهم السعادة في الدنيا والنعيم في الآخرة. إرادة نزيهة ودعوة بريئة من الغلو ومن التفريط ومنضعف البشرية يتمثل فيها حب الخير للناس واضحاً جلياً، فمتى خلصت إلى العقل ورضي بها ديناً ومتى وصلت إلى الفطرة أنست بها ورضيتها شريعة.

من أجل ذلك فشلت كل مقاومة وضعت في سبيله وخاب كل أم أريد به وقف نجاحه عند حد أو تعطيل سيره ساعة من نهار.

عرفت قريش بما لها من ذكاء وفكر أن مقاومتها لهذا الدين لا تقضي عليه بحال لأنه نور وهداية ومحال أن يتغلب الضلال على الهدى وخاصة إذا كان له دعاة خلصوا له واستماتوا في سبيل نصرته، وإن أقصى ما تستطيعه وقف سيره قليلاً من الزمن وإن ذلك معقود بصرف الناس عن استماع القرآن لأنهم إن تركوه يصل إلى القلوب فقد ضاعت كل حيلة لمقاومته وخاب كل سعي في وقف سيره. وقد ورد في سورة [حم] السجدة: «وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون» و«لعل» في لغة العرب لا تأتي في مقام الجزم بالغلبة واليقين، وإنما تأتي في مقام الرجاء والأمل، والرجاء يصاحبه الشك والغلبة مشكوك فيها، من أجل ذلك قلنا إن قريشاً كانت تدرك ألا سبيل لمقاومة القرآن وإن جهد ما تستطيع هو صرف الناس عن استماعه...

قال ابن هشام: إن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً- قال يوماً، وهو جالس في نادي قريش ورسول ا صلى ا عليه وسلم جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه أو أعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم يزيدون ويكثرون. فقالوا: بلى يا ابا الوليد إليه فكلمه. فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول ا صلى ا عليهوسلم فقال:يا ابن أخي، إنك من حيث قد علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقتَ به جماعتهم وسفّهت به أحلامهم وعبتَ به آلهتهم ودينهم وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. فقال له رسول ا صلى ا عليه وسلم: قل يا أبا الوليد أسمع. قال: يا ابن أخي، إن كنتَ إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنتَ إنما تريد به شرفاً سودناك حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا. حتى إذا فرغ عتبة ورسولُ ا صلى ا عليه وسلم يستمع منه قال: أقد فرغتَ يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاستمع مني. قال: أفعل. قال:

«بسم ا الرحمن الرحيم. حم. تنزيلٌ من الرحمن الرحيم. كتاب فُصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون.وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه» ثم مضى رسولُ ا صلى ا عليه وسلم فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهماً يسمع منه ثم انتهى رسول ا صلى ا عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعت، فأنتَ وذاك. فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف با لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي إني سمعت قولاً وا ما سمعتُ مثله قط. وا ما هو بالشعر ولا هو بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوا ليكونن لقوله الذي سمعتُ منه نبأ. اهـ

من هنا يتبين لك أن قريشاً كانت تريد أن تحول بين القرآن وبين استماع العرب له لِعلمها بأنه متى وصل إلى آذان العرب فهمته في الحال وخلعت ما لديها من دين

وتقاليد وعادات وأفكار وتصورات، وتقبلتْه قبولاً حسنا وآمنت به إيماناً صادقاً ثم نصرته وأيدته واستماتت في سبيل نصرته.

علم رؤساء المقاومة من قريش أن الرجل منهم لا يكاد يسمع القرآن حتى يتزلزل معتقده الأول ويتداعى للانهيار دينُه القديم، فعملوا على وضع أفكار وتصورات في أذهان العرب تشوه جمال الدعوة الإسلامية وتنفر الناس منها وتبغضهم فيها فاستنجدوا بعواطف البغض والكره والنفور من العقيدة الجديدة واستغاثوا بتلك الميول التي ينطفئ عندها نور العقل وتعمل عملها وهي مستدبرة للمنطق وتنتج آثارها وهي في بعد ومجانبة للدليل. عجزوا عن مقاومة الدعوة الإسلامية بالحجة فلم يستطيعوا نقدها لأنها موجهة للعقل ومتحاكمة إلى الدليل وهم لا يستطيعون أن ينقضوا عقيدة من عقائدها أو يبطلوا وصية من وصاياها أو يجادلوا في تعليم من تعاليمها، وكذلك لم يستطيعوا أن ينصروا وثنيتهم وما هم عليه من تقاليد وعادات بالأدلة العقلية، بل عجزوا عن كل ذلك وقصروا مقاومتهم على أن يجعلوا العرب تنظر إلى الدعوة الإسلامية بعين البغض والغضب والنفور...

وإن لنا لعبرة في سير الدعوة الإسلامية وفي مبدئها وفي نشوئها، فإذا كان القرآن هو أساس الدعوة وأن العرب كانت تنقاد له إذا سمعته وأنه هو الذي تولى الدعوة، وكانت على يديه الهداية وأن إلى فهمه يرجع الأمر كله في الهداية والإرشاد، فما بال المسلمين اليوم قد أهملوه وتركوا الاستهداء به؟

إن تاريخ الدعوة الإسلامية يرشد إلى أن نجاح المسلمين معقود بالرجوع إلى القرآن واعتباره هداية عامة ونوراً يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وقانوناً أساسياً للحياة في الدنيا والآخرة.

أنقذ القرآن العرب من وثنية ومن همجية إلى التوحيد والمدنية، وجعلهم ملوك الأرض وسادة العالم لأنهم فهموه، فكان إيمانهم عن فهم، وعملوا به وطبقوه على شئون الدين والدنيا.

إن مجد المسلمين موقوف على إعادة النظر في موقفهم حيال القرآن، فإن أعدوا نفوسهم لفهمه وسلموا نفوسهم لتعاليمه سعدوا كما سعد أسلافهم وعزوا كما عز السابقون منهم «وعد ا ُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً».

عبد الباقي سرور نعيم

المتحف العراقي

ومنبر جامع الخاصكي

احتفلوا في بغداد –قبل عيد الأضحى ببضعة أيام- بنقل المتحف الأثري العراقي من مكانه القديم إلى بنائه الجديد المتصل بمطبعة الحكومة.وتتولى إدارة هذا المتحف المستشرقة الإنكليزية الشهيرة مس بل صاحبة الرحلات المتعددة إلى بلاد العرب، ومنها (رحلة في شمال بلاد العرب إلى النفود) ذكرها المقتطف في فبراير سنة ١٩١٥ (م٤٦ ص١١٩)، وهي اليد اليمنى للساسة البريطانيين في العراق منذ الحرب العظمى إلى الآن، وكانت قدمت القاهرة في مارس سنة ١٩٢١ مع السر برسي كوكس لمقابلة وزير المستعمرات ومذاكرته في مسألة البلاد العربية.

وكانت المس بل –عند الاحتفال بافتتاح المتحف العراقي في مكانه الجديد- تستقبل المدعوين، وفي مقدمتهم الملك فيصل وأركان الحكومة وأعيان البلاد، وتشرح لهم المعلومات التاريخية عن الآثار الموجودة في هذا المتحف.وأكثر هذه الآثار من العهد البابلي والآشوري، وفيها آثار قيمة من العصور الإسلامية وإن تكن ويالالأسف قليلة.

ومن الآثار الإسلامية القليلة التي دخلت أخيراً إلى المتحف العراقي المحراب الأثري الذي نقل من مسجد الخاصكي منذ عهد قريب، وقيل إن الغرض من نقله إرساله إلى أوربا. فلما علم بذلك المستشرق الأستاذ «هرزفلد» اهتم بالأمر هو وكثير من المستشرقين وكتب أحدهم بذلك إلى الأمير شكيب أرسلان، فأذاع الأمير أمر المحراب في الصحافة العربية، وكانت الضجة التي أثيرت حول ذلك سبب استبقاء المحراب ونقله الآن إلى المتحف العراقي الجديد كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

وهذا المحراب كما جاء في رصيفتنا مجلة الزهراء (٥٦١/٢) يرجع عهده إلى تاريخ تأسيس مدينة المنصور – عاصمةالعباسيين- فهو على ذلك من أقدم الآثار العباسية. ولعله أقدم ما بقي منها إلى زماننا هذا. وقد جاء في وصفه أنه قطعة

عظيمة من الرخام يبلغ طولها متراً وستين سنتيمتراً، وعرضها أكثر من متر، وهو من أبدع آثار الفن الإسلامي وأقدمها.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

الآثار النبوية

وضرورة نقلها من تركيا

كان عطوفة سليمان باشا الباروني الزعيم الطرابلسي الشهير وعضو مجلس الأعيان العثماني سابقاً قد دعى إلى مؤتمر الخلافة الذي عقد في مصر، بصفته مندوماً عن حضرة إمام عمان، ولما تعذر عليه الوصول إلى مصر كتب إلى رصيفتنا (الشورى) بما كان عازماً على اقتراحه. ومن ذلك قوله: إن الحكومة التركية بما أنها أصحبت لادينية (دهرية) أبعد عن الإسلام من الحكومات المسيحية فلا مسوغ لإبقاء الآثار النبوية الطاهرة عرضة للتلاف والسخرية في الأستانة، بل يلزم نقلها. وبما أن أقوى الدول الإسلامية القريبة من الحجار وأقدرها على المحافظة على هذه الآثار المباركة في هذا الوقت هي الدولة المصرية، فالمطلوب من المؤتمر الإسلامي أن يقرر اعتبار صاحب الجلالة ملك مصر أميناً على هذه الآثار الطاهرة، ويفوض له الأمر في مفاوضة بقية الدول الإسلامية المستقلة على شد عضده في السعي في نقلها إلى مصر حيث كانت من قبل وحفْظها على وجه الأمانة الموقتة إلى أن تتأهل مصر لتحمل أعباء الخلافة باستقلالها الحقيقي التام، أو إلى أن تبلغ حكومة الحجار درجة في القوة تضاهي قوة مصر وتحقق استقلالها واستعدادها لحفظ هذه الآثار الطاهرة، فتنقل حينئذ إلى مهدها الأول مكة المكرمة أو المدينة المنورة.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

سكة الحجاز الحديدية

الأستاذ السيد محمد أمين الحسيني مفتى القدس ورئيس مجلس فلسطين الإسلامي الأعلى ، من أهل الغيرة على الشئون الإسلامية العامة. وقد وجد أخيراً في مؤتمر مكة الإسلامي فاقترح على المؤتمر السعي لإعادة سكة الحجاز الحديدية –الموجودة بعض فروعها الآن تحت يد حكومات فلسطين وشرق الأردن وسوريا- إلى حكومة الحجاز الإسلامية، لأن هذا الخط وقف إسلامي خاص بالحجاز. وهذا نص اقتراحه:

«لما كان هذا المؤتمر قد وضع من غايته توفير وسائل المواصلات، وتسهيل أمر الحج، وإزالة جميع العقبات التي تعترض أداء الفريضة الدينية. ولما كانت سكة الحديد الحجازية وقفاً إسلامياً، وقد أنشئت بأموال المسلمين، وسجلت وقفيتها في دائرة المشيخة الإسلامية في الأستانة، وفي دائرة الأوقاف العثمانية، ولما كان الغرض من إنشاء هذه السكة الحديدية التي كلفت المسلمين ملايين الجنيهات وألوف النفوس هو تسهيل أمر الحج، وتوفير وسائل المواصلات بين الحرمين الشريفين وكثير من الأقطار الإسلامية، ولما كان من الواجب على المسلمين جميعاً العناية بهذا الوقف الإسلامي العظيم الذي يشمل نفعه أكثرحجيج العالم، ولما كان مؤتمر لوزان المنعقد سنة ١٩٢٣ قد اعترف بالصفة الدينية لهذه السكة الحديدية وأصدرت الحكومتان الفرنسية والإنجليزية معاً تصريحاً في ٢٧ يناير سنة ١٩٢٣ حول تأليف مجلس إسلامي حصرت وظيفته في تقديم المشورة لتمشية السكة الحديدية الحجازية والمحافظة عليها، ويكون مركز هذا المجلس في المدينة المنورة، ولما كان العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها يعلق آمالاً كبيرة على هذا المؤتمر، فإني أقترح على المؤتمر أن يقرر ما يأتي:

(١) أن يعهد إلى اللجنة التنفيذية وحكومة الحجاز في أن تراجعا الحكومتين في سوريا وفلسطين –اللجنة باعتبار كونها لجنة تنفيذية للمؤتمر، وحكومة الحجاز بتوكيل عن هذا المؤتمر وبالأصالةعن نفسها- وتطالب من حكومتي سوريا وفلسطين تسليم أقسام الخط المارة في سوريا وفلسطين وشرق الأردن.

(٢) في حال عدم وصول نتيجة من الوجهة الأول تُراجع عصبة الأمم.

(٣) في حال عدم وصول نتيجة من الوجه الثاني تقام دعوى لدى حكومة لاهاي الدولية.

(٤) بعد استلام جميع أقسام الخط يؤلف له مجلس إسلامي عام يشارف على إدارته.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

